السنة النبوية
بين
دعاة الفتنة وأدعياء العلم

دكتور
عبد الموجود محمد عبد اللطيف
أستاذ الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين القاهرة - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى : جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ
يناير سنة ١٩٩٠ م

الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة : ذو الحجة سنة ١٤١١ هـ
يوليو سنة ١٩٩١ م

مطبعة طَيْبَة
رياض احمد فهمى
٦٥٤٥٦٩

يطلب من المؤلف
ت٢٨٤١٩٧٩ القاهرة

حقوق الطبع محفوظه للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب القومية
٥٤٤٤ / ١٩٩١م
977- 00 - 1756 - 6

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرحِيَّمِ

إهـداء

إلى من ربَّيَاني صغيرا ،وَرعَيَاني كبيرا
أهدي ثواب هذا الكتاب ، براً ،وعرفاناً
«رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ربَّيَانِى صَغِيراً (١)»

(صدق الله العظيم)

([١] سورة الإسراء،آية رقم:٢٤)

السنة النبوية
بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته وسار على هديه إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فقد شاء الله عز وجل أن يُكتَب القبولُ لهذا الكتاب « السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم » لدى الأوساط العلمية والباحثين عن الحقيقة عن وضع السنة الموجودة بين أيدينا اليوم ، وذلك بعد أن أُثيرت حولها هذه الغيوم السُّود والتى اصطنعها دعاة الفتنة فى القديم والحديث ، ومن حذا حذوهم من المتخصصين بغير السنة أدعياء العلم بها .

ومع صدق نيتنا فى الدفاع عن السنة والتزامنا المنهج العلمى والبعد عن التجريح والسباب فى الرد على هاتين الفئتين كما صنعوا حيال رجال السنة بهدف التشكيك بها ، إلا أنه – وهو مما يستغرب – قد وَجَدَ هذا الكتاب أصواتا تستنكر مافيه من حق وتُرَوِّجُ له بغير مايستحق مُدَّعية أن فى الكتاب تجريحا لغير المتخصصين بالسنة ممن أسهموا فى التشكيك بها ووطنوا النفس على النيل منها جريا وراء معطيات العقل المجرد .

وأحمد الله عز وجل أن هذه الأصوات لايبلغ مجموعها عدد أصابع اليد الواحدة وأنهم ممن تربطهم علاقات شخصية ببعضهم ومن لَفَّ لَفَّهمُ ، مع إيمانهم بوجوب الذود عن السنة والدفاع عن حماها ، وإقرارهم ببعد هؤلاء عن الجادة فى كتاباتهم ومع أننى كنت أحثهم – وبإلحاح – على وضع يدى على مايدَّعُون ويروِّجون له من تجريح إلا أنهم كانوا يقفون مكتوفى الأيدى عن إبرازها

وقد بلغ بى العجب مبلغه من تقديس الرجال والعَضِّ على مقولتهم بالنواجذ حقا كانت أو باطلة من أناس يدركون جيدا مخالفة ذلك للعمل العلمى المجرد ، وأن من شأن المسلم أن يسعى الى الحق لذات الحق دون النظر الى شهرة الرجال أو ، جاههم .

فليس هناك من أفراد البشر من جمعت له العلوم من أطرافها ، وإنما قد

أودع الله عز وجل صنوف العلم فى قلوب عباده كلّ فيما قدره عليه ويسّره له

وليس هناك من معصوم من الخطأ سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أجل ذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه حكمته الغالية : « الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف أهله »(١)

ومن أجل ذلك أيضا قال مجاهد رضى الله عنه : « ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبى ﷺ »(٢)

ثم تبين لى أنهم يحصرون جُلّ اعتراضهم على فقرة « أدعياء العلم » من اسم الكتاب ، دون المساس بالرد الموضوعى على هؤلاء .

وأشهدُ الله عز وجل على أننى ماقصدت بهذه الفقرة تجريح هؤلاء العلماء من قريب أو بعيد أو الاستهانة بدورهم العلمى فى مجالهم الطبيعى ، لكننى لما سَبَرْتُ تخصصاتهم العلمية وعركت أقوالهم فى السنة وجدتهم بمنأى بعيد عن تشعباتها المختلفة وأنهم أقحموا أنفسهم في غير تخصصهم الدقيق ، ومن القواعد المقررة عند العقلاء وأرباب العلوم أن من انتسب الى غير تخصصه فهو دعىّ عليه ، من أجل ذلك أضفت هذه الفقرة لتتوافق مع أحوالهم وتنسجم مع مسلكهم ، معتمدا فى ذلك على اللسان العربى وأصول اللغة(٣) .

وقد صرحت بهذا المقصد وذكرته جليا فى مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب ولم أنس أن أعطى كل واحد منهم حقه من التقدير وأن أبين منزلته العلمية فى محيط تخصصه لكن الواجب كان يقتضى منى أن أبين وجه الحق فيما أثاروه رغبة فى الحق لذاته وأيضا لأنه تخصصى الدقيق الذى أنفقت جُلّ ما مضى من العمر فى تحصيله ، ولم أنس كذلك أن أقرر أننى ماقصدت بعملى

---

(١) راجع : فيض القدير للشوكانى ٢١/١ (٢) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة / ٤٤ .

(٣) قال فى القاموس المحيط : « الدّعى كغنى : من تبنيته ، والمتهم فى نسبه (وهو المقصود من إيراد هذه الفقرة لانتسابهم العلمى فى غير تخصصاتهم) ٣٢٩/٤ وزاد الزبيدى : والجمع : الأدعياء . راجع : تاج العروس ١٢٧/١٠ ، وأيضا راجع : المصباح المنير / ٢٩٨ ٢٩٩ ، دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى ٤٧/٤ ، ولسان العرب ٢٦٠/١٤ ، ٢٦١ ، والصحاح فى اللغة ٢٣٣٦/٦ ، ٢٣٣٧ ، والمعجم الوسيط ٢٨٦/١ ، ودائرة المعارف للبستانى ٦٩٦/٧ ، والكشاف للزمخشرى ٢٤٩/٣ .

هذا ذرة من شهرة وإنما هو الدفاع عن السنة مجردا عن كل آفات النفس يدفعنى إليه إخلاص النية ورجاء المثوبة من رب العالمين .

هذا ، وقد شرفنى كثيرا وشدّ من أزرى ذلك القرار الذى أصدره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بأن تقوم اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف بإدراج هذا الكتاب ضمن الكتب التى يمنحها الأزهر الشريف لدعاة العالم الاسلامى عند انتهاء دوراتهم التدريبية ورحيلهم الى بلادهم والتى يقوم فيها الأزهر قلعة العلم بإعدادهم فيها إعدادا علميا مستنيرا .

فشكر الله لفضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على نصرته للسنة ، والذّود عن حملتها والمأمونين عليها عدول هذه الأمة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

كما قامت مجلة « الأزهر » بكتابة تحليل دقيق لمحتويات الكتاب إعلاما بأهميته فى بابه ،(١) وتعبيرا من الأزهر عن رفضه لهذه التيارات المنحرفة ، ومشاركة منه فى الدفاع عن السنة وعن حملتها المأمونين عليها .

هذا ، وكنت قد أهديت نسخة من الكتاب إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، ولإبداء ماتراه من ملاحظات تأخذ بيده الى النحو الأمثل ، ولاغرو فإن المؤمن مرآة أخيه .

ثم بعد أن انتهت الأمانة العامة من رأيها العلمى فيه جاءنى الرد من فضيلة الدكتور عبد الله بن عمر نصيف الأمين العام للرابطة يحمل تقريرا عنه ، ولمّا تحدث عن القيمة العلمية للكتاب **قال مانصه** :(٢)

« القيمة العلمية للكتاب : بذل الباحث جهدا كبيرا يشكر عليه فى توضيح الأصول الفكرية للمذاهب المناوئة للسنة النبوية وحماتها قديما وحديثا ، مع إيراد شبههم والردّ عليها ، وذلك بأسلوب علمى موضوعى رصين سهل رائع وبحماسة نادرة فى إبراز الحقائق ومواجهتها ، وبغَيْرة إسلامية فى الدفاع عن السنة وحماتها » ا.هـ كما تضمن التقرير بعض الملاحظات النافعة والتى كانت محل اعتبار فى هذه الطبعة .

---

(١) مجلة الأزهر عدد رجب الجزء السابع – السنة الثالثة والستون ، رجب سنة ١٤١١ هـ يناير – فبراير سنة ١٩٩١ م صفحات / ٧٨٩ – ٧٩٧ .

(٢) خطاب رقم ١٦٠٦/١ / م بتاريخ ١٤١١/٧/٤ هـ

فجزى الله عنا فضيلة الدكتور عبد الله بن عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

كما جاء فى التقرير العلمى للجنة العلمية الدائمة للحديث وعلومه بجامعة الأزهر للترقية إلى درجة « أستاذ » ما نصه :

« وقد كتب المؤلف هذا الكتاب بأسلوب علمى دقيق يعتمد على تقرير الحقائق العلمية فى كل فقرة منه ، وعباراته رصينة وأفكاره مرتبة يأخذ بعضها بحجز بعض وهو يتعمق فى تقرير القضايا ويعرضها بأمانة ويتولى الرد عليها فى إيجاز بما يرفع الشبهة ويدفع أدنى التهمة ..... ونظراً لأن الباحث متخصص فى أمثال هذه البحوث فقد جاء بحثه محققًا ويمتاز بالتعليل والترجيح وإيراد الحجج المقنعة والأدلة الساطعة ، وبذا يستحق هذا الكتاب تقدير « ممتاز » »(١) .

كما قامت مجلة « منبر الإسلام » : بعرض مفصل للكتاب إبرازا لحقائقه العلمية وإسهاما من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر فى الذَّبِّ عن السنة ورجالها .(٢)

كما تحدث عن القيمة العلمية للكتاب كل من : جريدة الوفد(٣) ، وجريدة الأهرام(٤) فى ثنايا أخبارهما الصحفية .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب قارئه وسامعه إنه سميع مجيب .

وكتب : أبو عاصم/ دكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف
أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين القاهرة
القاهرة تحريرا فى يوم الجمعة ١٨ شوال سنة ١٤١١هـ
٣ مايو سنة ١٩٩١م

---

(١) تقرير اللجنة العلمية الدائمة فى ٣/١٢/١٩٩٠ .
(٢) مجلة منبر الإسلام - السنة ٤٩ - العدد رقم (٥) جمادى الأولى ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠ صفحات / ٨٩-٩٣ .
(٣) جريدة الوفد الصادرة فى يوم الأربعاء ٢٧ ربيع الأول ١٤١١ هـ - ١٧ اكتوبر ١٩٩٠م صفحة / ٩ .
(٤) جريدة الأهرام الصادرة فى يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٤١١ هـ - ٧ ديسمبر سنة ١٩٩٠م ، صفحة / ١٣

« مقدمة الطبعة الأولى »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل الكتاب والحكمة على خاتم رسله وعلمه مالم يكن يعلم فكان فضل الله بذلك عليه عظيما ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أفضل خلق الله طُرًا ، وأرجحهم عقلا وأزكاهم فطرة ، وأكملهم أدبا وعلما ، وأخشاهم لله رب العالمين .

أما بعد :

فقد أرسل الله تعالى رسوله الأكرم على فترة من الرسل ليصحح للإنسانية مسيرتها ، ويلهمها رشدها ويهديها للتى هى أقوم ، فاستقامت بهديه العقول الضالة واستنارت بحكمته الأفئدة المظلمة ، يحوطه الله عز وجل فى كل ذلك ويرعاه « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(١) .

أنزل الله إليه الذكر دستورا جامعا لحاجيات البشر ، فى الأولى والآخرة ووكل إليه إيضاح مافيه وتفصيله « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ »(٢) .

فقام صلوات الله وسلامه عليه بمهمته خير قيام حتى أتاه اليقين ، يحرسه الوحى في كل توجيه وبيان ، فرسخت قواعد الدين وكمل بناؤه وتمت بذلك نعمة الله على خلقه « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً »(١) .

وقد أوصد باب الوحى بموته ﷺ ولم يَعُدْ من سبيلٍ أمام من يرجو الله ويخاف عقابه إلا اتباعه فيما أوحى إليه من القرآن العظيم ، أو من سنته الشريفة بكل آفاقها وتنوع أغراضها « إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

(١) الآيتان : (١٥ ، ١٦) من سورة المائدة .

(٢) الآية رقم : (٤٤) من سورة النحل .

(٣) الآية رقم : (٣) من سورة المائدة .

وَرَسُولِه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهَ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ »(١) .

فهذا هو المنهاج السوى الذى ينبغى أن يكون عليه المرء المسلم حتى يسلم له دينه ، فيرضى الله عنه ويحظى بالمثوبة فى عاجله وآجله « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً »(٢) .

لكنّ فئةً من الناس فى القديم والحديث سولت لهم أنفسهم الخروج عن هذا المنهج الربانى الذى ارتضاه الحق لخلقه - جهلا ، أو عناداً ، أو رياء وسمعة - وتعصبوا لأهوائهم ، وتبعهم على ذلك كثير من الدهماء عن غفلة أو عمد ، وزلت بذلك أقدام بعد ثبوتها .

والمتتبع لمشارب القوم يجد أنهما فئتان لكل واحدة منهما أسلوبها ومنهاجها وإن كانت تتفق - طوعا أو كرها - فى الغاية وفى الهدف .

أما أولاهما : فهم دعاة الفتنة ممن طمس الله على بصائرهم فراحوا يسددون ضرباتهم الآثمة للوحى قرآناً كان ذلك أو سنة .

وقد بدأت هذه الفئة الضالة تنشر سمومها فى فترة مبكرة ، فاتخذت من الكذب على الرسول ﷺ ميدانا لنشاطها المدمر - والرسول ﷺ مايزال بين ظهرانيهم - ثم أوشكت أن تستشرى ويتفاقم أمرها بعد أن خلت لها الساحة الإسلامية بوفاة الرسول ﷺ لولا أن كبح جماحها الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه ثم أسكنها جحرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلا أنه سرعان مابدت بوادرها فى عهد الخليفة الحَيِىّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم ذر قرنها أيام الفتنة ، ثم بلغت ذروتها بعد وفاته ، وذلك بعد أن أحكمت عليها قبضة أئمة الضلالة من المنافقين والزنادقة واليهود ، وسرت فى جسم الأمة سريان النار فى الهشيم حتى أتت فى أكثر أحيانها على الأموال والأنفس والثمرات .

---

(١) الآيتان رقم : (٥١ ، ٥٢) من سورة النور .

(٢) الآية رقم : (٧١) من سورة الأحزاب .

وكان نتاجها تلك البلبلة الفكرية الواسعة التى جادت بها قرائحهم وألصقوها زورا وبهتانا للرسول ﷺ

وكان من الطبيعى أن يستمر ذلك المسلك وأن يجد له الأعوان والمناصرين من أعداء الاسلام فى كل أزمنته الى يومنا هذا ، بل ومن المنتسبين إلى الإسلام ممن يقرأون القرآن لايجاوز حناجرهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرَّميَّة ، مما أثقل كواهل المحدثين فى تتبعه وجمعه وحصره فى نطاقه المتعفن وإيداَع أهله فى مؤلفات خاصة بوصفهم أعلام ضلالة وهدم ، حادوا الله ورسوله وأعلنوا الحرب عليهما .

وقد اتخذ دعاة الفتنة بعد ذلك لأنفسهم أساليب جديدة يبثون منها فتنتهم ، فبدلا من وضعهم للأحاديث على رسول الله ﷺ – وهو عملهم التقليدى – ضربوا بالسنة كلها عرض الحائط متواترها وآحادها واكتفوا بالقرآن وحده

ولم يقفوا عند ذلك بل سلط عليه بعضهم سهام الرأى فأبطل العمل بكثير من آياته ، وهى فتنة كانت قد خمدت أنفاسها فى العصر الإسلامى الأول يوم أن كان هناك سيف فى حده الحد بين الجد واللعب ، يصون الشريعة من إفك الزنادقة والملحدين ويحفظ للإسلام بيضته .

أما فى الأزمنة المتأخرة حيث ضعف الحكم الإسلامى نتيجةً لقهر الاستعمار الصليبى المادى والفكرى فقد أيقظ دعاة الفتنة تراث سلفهم من سُباته العميق ، وأربَوْا عليه كثيرا من ظلمات الشك والريبة .

وأما ثانيتها : فهم أدعياء العلم **ونقصد بهم أدعياء العلم بالسنة ممن تخصصوا بغيرها من الفنون ، وإن كان بعضهم برز فى مجاله العلمى** ، لكنهم قرأوا فيها قراءات عابرة فعرفوا منها القشر دون اللباب ، وخيل إليهم أنهم أعلم الخلق فى هذا الباب مع أن بحر السنة عميق متسع الشطآن لايسبر غوره إلا من تمرّس به ولا يخوض لجته إلا من تأهل له وإلا لقى حتفه بمحض إرادته

وهم الذين لم يبدأوا بفكر جديد وإنما هم فيه تبع لغيرهم من القدامى أو المعاصرين

وهذه الفئة من العلماء اتخذت من العقل فى مواجهة النص الثابت من السنة سيفا مُصلَتا على تراث النبوة وعلى عدول هذه الأمة من حملته ، ضاربة عرض الحائط بموازين الأخبار وقواعد التثبت فيها .

وهى أيضا تغلف رأيها بما ابتدعت له من زخرف القول ، فحكمته فى السنة ورجالها لتستبعد ماتراه وتجرح أعراض من تراه من المحدثين

فتارة تصف آراءها فى توهين الحديث بأنه نتيجة فقه واسع وإحاطة شاملة لمقتضيات الظروف والأحوال وفهم القرآن

وتارة توجه طعونها إلى الإسناد شرف هذه الأمة

وتارة تقف من الرسول ﷺ موقف الند للند وعلى قدم المساواة فأجازت لنفسها أن تخطئه بل تجاوزت ذلك الى مخالفته – تحت ستار المصلحة العامة – فى قضية حكم فيها ومات على ذلك ، ولا ضير فى هذا فالعقول موجودة وليس أحد فى هذا أفضل من أحد .

وتارة تبيح لأنفسها إطلاق السباب والشتائم وتجريح المحدثين قديما وحديثا دون وازع ، مما ينبغى أن يَعَفَّ عنه لسان الجاهل من عامة المسلمين

وتارة تفرض رأيها على القارئ دون مبرر مقبول أو معقول ، هكذا دون اعتراض وإلا كان فاسد العقل أخرق الرأى وألهبت ظهره بسياط التخلف الفكرى والفقهى .

بل إن هذه الفئة غالت بالرأى فاتخذته سلاحا للطعن فى مدونات الإسلام الكبرى ، بل حكمته فى أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، الصحيحين : صحيح البخارى وصحيح مسلم ، فحكمت على كثير من أحاديثهما بالاختلاق والوضع .

ولو كان لرأى البشر سياج يمنع صاحبه من التردى والخطأ لكان فى ذلك مندوحة عند النقد ، ولكنك ترى المرء – فيما سنعرض عليك من أصحاب هذه الفئة – يعرض رأيه ويلزمك به ويشدد النكير عليك ثم سرعان ما يخالفك إلى غيره دون اعتذار .

إن اتهام المحدثين وتجريحهم بماهم منه برآء ، وإلصاق السوء بهم زوراً وبهتاناً على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ علماء الإسلام على تنوع ثقافاتهم ، أمر يشوه حقائق التاريخ ويبرئ أعراض الإسرائيليين والزنادقة والملاحدة من اعتدائهم على تراث النبوة

وتلك جريمة كبرى تدفعنا إلى الريبة فى نوايا هؤلاء الذين حسبوا أن الله اختصهم وحدهم دون سائر عباده بالعقل النابه ، والرأى الفاقه الذى تباركه عناية السماء .

وإن إشاعة مثل ذلك فى أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لهو أشد جرماً من إشاعة الفاحشة ، لأنه يفضى إلى هدم الإسلام فى نفوس أصحابه وإن التظاهر بمعرفة الحديث أكثر من رجاله الذين أفنوا حياتهم فيه ، والقول بأنهم أشد غيرة على السنة وأكثر تمحيصاً وتدقيقاً منهم لهو أمر يخالفه الواقع العلمى ، وينكره أرباب العقول ، ولايستسيغه العامة فضلا عن المثقفين وأصحاب الدرجات العلمية فى الفنون المختلفة ، وذلك لمجافاته المنطق ، ومخالفته لطبائع الأشياء .

إن جملة شبهات المستشرقين ومطاعنهم تهدف فى المقام الأول إلى زلزلة الفكر الإسلامى ، وبث الشكوك فى عقيدة المسلم ، وإيجاد هوة سحيقة بين المسلم وبين تراث النبوة ، بل قطع الروابط الروحية بين الأمة وبين نبيها ﷺ .

وإن إثارة هذه الحملات الظالمة على السنة ونقلتها والمأمونين عليها والعدول يتلاقى مع أهداف الفكر الاستشراقى فى غفلة من مثيريها ، بل إن ذلك يتلاقى مع مايراد بالمرء المسلم من أعدائه بعامة

فقد جاء فى موسوعة « تاريخ الجنس البشرى وتقدمه الثقافى والعلمى ، والذى أصدرته منظمة العلوم والثقافة « اليونسكو » للأمم المتحدة فى الفصل العاشر من المجلد الثالث مانصه : « الأحاديث النبوية وضعت من قِبَلِ بعض الناس بعد الرسول بفترة طويلة ونسبت للرسول » .

وجاء فى كتاب : « مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين » مانصه : « علينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية » .

إن الاعتداد بالرأى فى مواجهة النص الثابت من القرآن أو السنة تجرؤ على شريعة الله وإهدار للفطرة ووضع العقل فى غير إطاره الذى وضعه الله له .

إن كتابا أو عدة كتب طوت بين دفتيها مهاجمة السنة من أطرافها وأقبل الناس على مطالعتها ، أو تكررت طباعتها وبيعت منها الآلاف فى زمن قياسى محدود ليس دليلا على قبولها وارتضائها ممن اختلطت السنة بدمائهم وعرفوا لأهلها حقهم من التقدير والإكبار ، فإن المثقفين تواقون إلى التعرف على مواطن الشذوذ واستجلاء مواضع الخلاف ثم لايلبث أن توضع هذه الكتب حيث تستحق فى زوايا النسيان والإهمال مشفقين على أصحابها من عاقبة هذه الجرأة فى دين الله يوم لاتنفع الشهرة أو الجاه .

هذا ، ومن العادة الجارية لأعضاء هيئة التدريس بقسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة أن يتابعوا - عن كثب - مايستجد على ساحة السنة المشرفة فيتناولونه من الناحية العلمية بما يحقق أفضل الآثار الإيجابية له .

وذات يوم أطرقت بدهشة إلى محدثى وهو يتناول حيثيات كتاب « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » للداعية الشيخ محمد الغزالى ، والذى يهاجم فيه رجال الحديث ومصادر السنة ومراجعها ، فغضضت الطرف عن ذلك ثقة بالشيخ وحسبت أن ذلك ضربا لمحدثى من المبالغات التى قد يدفع إليها الحماس العلمى لفكرة عابرة

وما أن طالعت الكتاب حتى روعنى ما فيه فكتبت رداً عليه مُسَوَّدة علمية بُغْيَة نشرها فى إحدى الجرائد التى تعنى بأمور المسلمين ، إلا أنه سرعان مافترت همتى درءاً للخصومات ، ومنعاً لتمزق صفوف العلماء ، وخلق مناخ سئ يتم فيه بث روح العداوة بين مجتمع الأسرة العلمية الواحدة ، فى حين أن أمتنا الإسلامية فى عصرها الراهن ليست بحاجة إلى من يعمق جراحاتها ويفتت صفوفها فتكون طعمة سائغة لفكر أعدائها .

لكن بعض من أعْتَزُّ بهم من السادة العلماء أخذ يعتب علَيَّ تقصيرى فى الرد على هذا الكتاب ، فشكرتهم لإحسانهم الظن بى - على ماعندى من قصور - وآثرت السكوت على مضض .

وذات يوم فوجئت بالشيخ يتحدث فى برنامج تليفزيونى نافع خصص وقته لمناقشة فكرة كتابه ، وإذا به ينعى فيه باللائمة على المحدثين ويحملهم تبعات تخلف الأمة وذهاب ريحها وأنهم أساس كل داء حل بها ، مما أثر فى مضيفته حتى بلغ حماسها حداً جعلها تشيد بالكتاب وأنه أحدث ثورة تصحيحية فى الفكر الإسلامى المعاصر تعدل مافعلته ثورة البيروستريكا المعاصرة فى الاتحاد السوفيتى

كما سمعت عن صيحات تنادى بتنقية مصادر السنة وبالأخص الصحيحين من باطلهم الذى توهموه حقا ، وهذا عندى من كبائر الذنوب فإنه تحريف للشريعة ، وفتح باب لايؤمن معه بكتب الناس وما فى أيديهم من المصنفات فقبح الله فاعل ذلك وأخزاه .

فقلت فى نفسى إن التقاعس عن هذا الواجب إثم شديد يزيد فى إثمه وخطورته عن الهروب من ميدان القتال والحرب مستعرة .

وكان قد جال بخاطرى قبل ذلك أن أفرد مؤلفاً يجمع شتات شبهات دعاة الفتنة وأدعياء العلم بالسنة ثم أقوم بالرد عليها فى إيجاز حتى تتم به الفائدة لكننى شغلت بغيره من بحوث علوم السنة المختلفة .

ولما تبين لى خطورة السكوت عن السنة وهى تستباح وتنتهك وبخاصة بعد أن قرأنا دعوات الى الاجتهاد فيما اجتهد فيه الرسول ﷺ وأعطى فيه حكما ومات عليه . وأنه لا حرج فى تغيير هذا الحكم تحت ستار المصلحة العامة .. وأيضا ما قرأنا ، من تمزيق السنة الشريفة الى سنة محروسة بالوحى وإلى سنة غير محروسة به ، مما هو مخالف لإجماع من يُعتدُّ به من هذه الأمة وكذلك ما قرأناه من رد للصحيح من السنة وفق إعمال فكر ليس له حظ من معرفة تراث النبوة قمت بتتبع فكرهم فى القديم والحديث . وعزوت كل فكر إلى أصله المنحرف ليتبين أعماقه وتتضح هوية أصحابه وإن لم يكونوا بالضرورة تبعا لأصحاب هذه المذاهب

فى كل أصولها المنحرفة ، والتى قد تأخذ بيد صاحبها بعيدا عن ميدان الإسلام وساحته .

وسوف يتضح لك أيها القارئ الكريم أن دعاة الفتنة وأدعياء العلم فى القديم والحديث مدرسة واحدة تآزرت على التشكيك فى السنة فليس هناك من خرج عن دائرتها إلا فى بعض أصولها ويندر أن تجد واحداً منهاقد انفرد برأى لم يشاركه فيه غيره ، فهى مدرسة مادتها تكاد تكون واحدة وهدفها يكاد يكون واحدا والجديد فيها هو عرض الموضوع بأسلوب أدبى يعتمد على الإثارة والسباب دون المنهج العلمى الملتزم .

وقد حاولت فى هذه العجالة القصيرة – إضافة إلى ماذكرت – أن أقف مع كل من هاتين الفئتين : دعاة الفتنة ، وأدعياء العلم بالسنة ، – وقفات نستجلى بها وجه الحق . نعرض آراءهم ثم نذكر أنماطا من الأحاديث التى وضعوها تحت مجهر العقل

وقد نستجمع بعض مااجتمعوا عليه فى كتبهم المنشورة ونرد عليها بما يرفع الشبهة ويدفع أدنى التهمة ، سالكين سبيل الاختصار مع تمام الفائدة أملا فى الوصول إلى الحق ودفاعاً عن سنة سيد الخلق ، وقد أجاد من قال وأحسن :

وجدال أهل العلم ليس بضائر

مابين غالبهـــم إلى المغــلوب

وقد قدمت لذلك بما لايمكن الاستغناء عنه فى الإلمام بموضوع البحث وسميته « السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم » .

يدفعنى إخلاص النية ورجاء المثوبة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب : أبو عاصم دكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف
الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين بالقاهرة

القاهرة ، تحريراً فى :

يوم الجمعة ٨ جمادى الآخرة سنة ١٤١٠هـ
الموافق ٥ يناير سنة ١٩٩٠م .

صفة المُحَدِّثِ

(٢- السنة النبوية)

صفة المحدث

لعله من نافلة القول أن نبين هنا خطأ مارددده بعض العلماء المعاصرين في كتبهم المنشورة من إطلاق لقب المحدث على من طالع عدة أحاديث أو كتاباً يحتوى على بعض الأحاديث النبوية المشرفة ، وذلك بغية التهوين من أمر المحدثين بعامة والتنَدُّر بهم والسخرية بجهودهم فى المحافظة على تراث النبوة والإقلال من قدرهم العلمى ، وأملا فى الانقضاض على مصادر السنة ، يحكّمُون فى بعض أحاديثها الرأى الذى لاعناء فى تكوينه ولانَصَبَ فى تغليفه بزخرف القول لكل من أراد ذلك ووطّن النفس عليه .

والحق أن العلماء قد وضعوا شروطاً أوجبوا توافرها فى المحدِّث حتى يكون لهذا اللقب أهلا .

فأوجبوا أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلا خاليًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة فلا يفعل الكبائر ولايُصرُّ على الصغائر ولايأتى ببعض الأفعال الحقيرة(١) التى تنقص من قدره وتجعله مدعاة للغمز فى نفسه ، وأداة للزهد فى قبول مروياته ، نتيجة عدم استقراره النفسى والإيمانى .

وحتى تتم الثقة به وبروايته اشترطوا أن لايكون كذاباً ، أو متهماً بالكذب ، أو فاحش الغلط ، أو مغفلا ، أو واهماً ، أو مخالفاً لما يرويه الثقات ، أو مجهول العين أو الحال ، أو مبتدعاً ، أو سيئ الحفظ(٢) .

ولعل السر فى اعتبار هذه الشروط مجتمعة فيما تقبل روايته هو انتقاء نوعية خاصة من البشر متميزة فى إيمانها وعطائها واستيعابها ، تتلاءم مع مكانة المروى وتطبيقة فى أحكام المسلمين وأخلاقهم وآدابهم ، وكل مايتم به إقامة مجتمعهم على الطريق السوى الذى ارتضاه الله شرعةً لعباده ومنهاجًا .

كما اشترطوا صفات علمية لابد من توافرها فيه حتى يكون من جملة رجاله ، إضافة إلى تحمله الحديث رواية وتميزه فيه عن غيره .

فأوجبوا أن يكون على علم تام بعلل الحديث حتى يدرك الأسباب الخفية الغامضة القادحة فيه ، من وصل منقطع أو رفع موقوف أو إدخال حديث فى حديث أو نحو ذلك مما يقدح فى قبوله .(٣)

---

(١) راجع : تدريب الراوى ١/٣٠٠ (٢) راجع التبصرة والتذكرة ١٣/١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ١٤/٢-٢٢

(٣) راجع : مفتاح السنة للشيخ محمد عبد العزيز الخولى / ١٥٩ .

كما أوجبوا أن يكون على علم تام بقواعد الجرح والتعديل حتى يتم له معرفة تواريخ مواليد الرواة ووَفَيَاتهم ، ومعرفة أقوال أئمة النقد فى كل واحد من سلسلة إسناد الحديث ، فيتبين له إن كان الحديث مرفوعا أو موقوفا ، أو مقطوعا ، أو مرسلا أو منقطعا ، أو متصلا ، حتى يتحاشى بذلك الوقوع فى الخطأ عند الحكم على الحديث قبولا أو رداً .(١)

كما أوجبوا أن يكون على معرفة تامة بعلم طبقات الرواة وأوطانهم(٢) ، حتى يتسنى له الفصل فى حقيقة الرواة عند اللبس باتفاقهم فى الاسم أو الكنية والوقوف على التدليس ، والاطلاع على حقيقة العنعنة هل هى سماع أو إرسال ، حتى يتحاشى بذلك الوقوع فى الخطأ عند الحكم على الحديث قبولا أو رداً .

كما أوجبوا أن يكون على معرفة تامة بالصحابة حتى يكون على بينة من حقيقة الراوى الأعلى والتأكد من صحبته لرسول الله ﷺ، وذلك للفصل بينه وبين المخضرم أو غيره ، حتى يتحاشى الوقوع فى الخطأ عند الحكم على الحديث من رفع الموقوف أو المقطوع فيتبين له أن الأول موقوف وأن الثانى مرسل ، أو منقطع .(٣)

كما أوجبوا أن يكون على علم تام بالمؤتلف والمختلف والمتفق والمفترق والمشتبه من الأسماء والأنساب والكنى والألقاب ، حتى يتحقق من تعيين المراد من الرواة ، ويأمن من تداخل المشتبهين فى ذلك فلا يشتبه راو بآخر ، أو يظن لقب شخص أو كنيته اسما لثان ، فيعد الثقة ضعيفاً ، أو الصادق كاذباً ، أو يعكس الأمر ، وذلك حتى يتحاشى الوقوع فى الخطأ عند الحكم على الحديث قبولا أو رداً .(٤)

كما أوجبوا أن يكون على علم تام بتخريج الحديث ودراسة الأسانيد فيعرف مواضع روايته من مصادر السنة المختلفة ، وأسباب وروده ، وناسخه من منسوخه حتى يتسنى له استيعاب طرقه والمقارنة بين أسانيده ومتونه ، ويستطيع أن يعطى أحكاما صادقة له من حيث القبول أو الرد .(٥)

---

(١) راجع : تدريب الراوى ٣٤٢/١ ، فتح المغيث ٢٧٩/٣ فما بعدها

(٢) راجع : التبصرة والتذكرة ٢٣٠/٣ -٢٧٨ ، فتح المغيث ٢١١/٣

(٣) راجع : التبصرة والتذكرة ٢/٣-٤٥ (٤) راجع : التبصرة والتذكرة ١١٥/٣-٢٢٤، وفتح المغيث ١١/٣

(٥) راجع : مفتاح السنة / ١٤٥ فما بعدها